# المحور3. المحاضرة 8

# المنهج الجدلي

## أولا–تعريف المنهج الجدلي:

### 1–1–الجدل:

في لسان العرب: الجَدَل :مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَة: الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الجَدَلُ عَلَى الْبَاطِلِ وطَلَبُ الْمُغَالَبَةِ بِهِ لَا إِظهار الْحَقِّ فإِن ذَلِكَ مَحْمُودٌ. وَيُقَالُ :إِنه لجَدِل إِذا كَانَ شَدِيدَ الخِصام[1]. وفي معجم التعريفات للجرجاني: الجَدَلُ: دَفعُ المرءِ خَصمَه عن إفسادِ قَولِه، بحُجَّةٍ أو شُبهةٍ، أو يَقصِدُ به تصحيحَ كلامِه[2]. وفي معجم المصطلحات المنطقية: الجدل: كلمة تدل في أصلها اليوناني على معنيين رئيسيين هما: الكلام (الخطاب) والحجة، ونجد هذين المعنيين في كلمة (Dialectique)[3].

### 1–2–قواعد الجدل:

يتأسس الجدل على ثلاثة أصول، وهي:

- اختلاف طرفين في النظر، وتكافؤهما في الأهلية العلمية؛
- توحيد موضوع الجدل ذي الأهمية والجدوى، ليكون أرضية مشتركة يستند إليها المتناظران؛
- الاتفاق على وحدة قانون الاستدلال والاحتجاج، للتحاكم إليه باعتباره مرجعية كلية معيارية مشتركة.[4]

## ثانيا–المنهج الجدلي في عيون الفلاسفة:

يعود الفضل لفلاسفة اليونان في وضع الخطوط الأولى للجدل؛ فقد كانوا يستخدمون هذه الكلمة لتدل على فن المناقشة واستخلاص الحقيقة بكشف التناقضات في حجج الخصم وإيجاد الحلول لها، ثم استخدم الاصطلاح فيما بعد ليدل على منهج إدراك الحقيقة. وفي الواقع كان الإغريق ينظرون إلى الطبيعة ككل، وكان هرقليطس يعلم الناس أن هذا الكل يتغير ,وذلك بقوله :نحن لا ننزل في نفس النهر أبدا؛ كذلك يحتل صراع الأضداد مركزا ممتازا لدى فلاسفة اليونان، وخاصة أفلاطون الذي ركز الاهتمام على خصوبة ذلك الصراع، فالأضداد في رأيهم تتوالد بعضها عن بعض. حتى كلمة ديالكتيك" جدل "نفسها مشتقة مباشرة من الكلمة اليونانية ديالجين أي: يجادل، فهي إذًا تعبر عن الصراع بين الأفكار المتعارضة[5].

وجمع لنا عبد القادر البحري ومحمد فتحي في المعجم تعريفات الفلاسفة القدماء للجدل كمنهج للمناظرة، كالآتي:

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص 105؛ ابن فارس، مجمل اللغة، ج1، ص 179.

[2] الجرجاني، المصدر السابق، ص 74.

[3] عبد القادر البحري، المرجع السابق، ص 79.

[4] محمد رفيع، الجدل والمناظرة أصول وضوابط، دار ابن حزم، 2009م، ص 44–45. رشيد وهابي في إدارة الاختلاف قراءة تقديمية لكتاب "الجدل والمناظرة أصول وضوابط"، المنشورات الإلكترونية لمركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية: /في–إدارة–الاختلاف–قراءة–تقديمية–لكتاب https://www.ibnghazicenter.com/

[5] محمد محمود ربيع، مناهج البحث في العلوم السياسية، مكتبة الفلاح، الكويت، 1987م، ص 273.

- ✓ زينون الإيلي: منهج لدحض حجج الخصم بواسطة فحص النتائج المنطقية.
- ✓ سقراط: منهج الحوار بمرحلتيه التهكم والتوليد بحثا عن تعريفات للمعاني الأخلاقية.
- ✓ أفلاطون: منهج للتقسيم أو للإعادة تحليل الجنس منطقيا إلى انواعه؛ إنه منهج لفحص الأفكار المجردة العامة المتعالية بواسطة عمليات الاستدلال، ونصل إلى هذه الأفكار مبتدئين من الجزئيات أو الفروض.
- ✓ أرسطو: منهج استدلالي منطقي أو مناقشة تستخدم مقدمات محتملة او مقبولة[6].

**ثالثا– المنهج الجدلي المثالي – هيجل–**: يعود الفضل الأكبر إلى هيجل في صياغة قوانين الجدل الثلاثة الأساسية، وهي: –الانتقال من التغيرات الكمية إلى التحولات الكيفية، –التناقض وصراع الأضداد، –نفي النفي، ويمثل ذلك الإنجاز الكبير خطوة واسعة على طريق الفكر الفلسفي، أدت إلى تصدع المنهج الميتافيزيقي السائد آنذاك، وينطلق هيجل من أن الحقيقة ليست مجموعة من المبادئ المقررة، إنما هي عملية تاريخية، وانتقال من درجات دنيا إلى درجات عليا في المعرفة، وحركتها هي حركة العلم نفسه. أما العلم، فإنه لا يمكن أن يتقدم إلا بنقد نتائجه هو باستمرار والقدرة على تخطيها، أي: إن محرك كل تغير عند هيجل هو صراع الأضداد، ومن المبادئ التي أسست لمنهجه هو اعتقاده بأن الطبيعة والتاريخ البشري هما مظهران للفكرة المطلقة، أي: إن الوجود المادي نتاج للفكرة[7].

**رابعا– المنهج الجدلي المادي –ماركس–**: يذهب كارل ماركس إلى أن منهجه الجدلي المادي لا يختلف في أساسه عن المنهج الهيجلي فحسب، بل هو نقيضه تماما، فحركة الفكر التي يجعلها هيجل ذاتا يسميها الفكرة، هي عنده صانعة الواقع، وليس هذا الواقع إلا الصورة الظاهرية للفكرة؛ أما عند ماركس، فحركة الفكر ليست على العكس إلا انعكاسا للحركة الواقعية منقولة، ومحولة إلى المخ البشري، ويتضح من ذلك الأهمية الكبيرة التي يحتلها الجدل في هذا المنهج المادي[8]. وأهم معانيه طبقا للمفهوم الماركسي، فتعني واحدة أو أكثر من النقاط التالية:

– فن البحث في حقيقة الآراء، واختبار مدى صحة المناقشة.

– المناقشة المنطقية.

–نقد التناقضات الميتافيزيقية، والحلول التي تقدم وفقا لها.

–دراسة التناقض في جوهر الأشياء.

---

[6] . كانط: منهج لنقد منطق الخداع بإظهار التناقضات التي يقع فيها العقل حين يتجاوز الخبرة في معالجته للموضوعات الترانستدنتالية. هيجل منهج فيه يحدث التطور المنطقي للفكر أو للحقيقة من خلال الانتقال من الفكرة ونقيضها إلى المركب من هذه المتقابلات. يراجع: معجم المصطلحات المنطقية، ص 79–80. وللاستزادة، يراجع تفصيلا للمناهج عندهم: عثمان علي حسن، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ص 57–92. كانط: منهج لنقد منطق الخداع بإظهار التناقضات التي يقع فيها العقل حين يتجاوز الخبرة في معالجته للموضوعات الترانستدنتالية. هيجل منهج فيه يحدث التطور المنطقي للفكر أو للحقيقة من خلال الانتقال من الفكرة ونقيضها إلى المركب من هذه المتقابلات.

[7] محمد ربيع، المرجع السابق، ص 278.

[8] المرجع نفسه، ص 279.

-دراسة القوانين التي تفسر تطور المجتمع.

أما القوانين الثلاثة الأساسية التي تبنتها المادية الجدلية فهي:

-وحدة وصراع الأضداد كمحرك للتطور؛

- الانتقال من التغيرات الكمية البطيئة إلى التحولات الكيفية العنيفة والمفاجئة؛

نفي النفي أي: انتقال الفعل أو الإدراك أو المعرفة بعد سلسلة من العمليات إلى مرحة أعلى وأرقى.[9]

**خامسا- خصائص المنهج الجدلي:**

يمتاز المنهج الجدلي عن غيره من المناهج بالخصائص التالية:

- منهج علمي موضوعي للبحث والتحليل والتفسير، ولا يقتصر على دراسة الظواهر والأشياء، وإنما يستخدم أيضا في المجالات العملية الجارية في الواقع والممارسة؛
- مسلك عام، شامل وكلي في كشف حقائق الأشياء والظواهر التي تقوم في المجتمع؛
- منهج يبحث عن الحقيقة من داخل الظاهرة؛
- يبحث في أجزاء الظاهرة، ويراقب مدى إمكانية حدوث صراع بينهما، ليتغير شكلها، ومحتواها إلى ظاهرة جديدة.

**سادسا-ضوابط البحث الجدلي:**

يمكن تقسيم ضوابط الجدل التي تعصم البحث الجدلي، وتضمن له السير المتزن تجاه الهدف العلمي، بحسب رشيد وهابي، وهذا انطلاقا مما استخلصه في قرائته لكتاب "الجدل والمناظرة"، إلى قسمين:

**6-1-الضوابط الإجرائية:**

- التزام الأمانة العلمية في البحث الجدلي، ويستلزم هذا الالتزام تربية إيمانية تمانع دواعي الاعتداد بالرأي والتعصب له والمكابرة والعناد؛

- إنصاف المخالف، واحترامه؛

- التزام حسن الاستدلال، اختبارا لصحة الدليل، وعناية بغرضه قبل إعماله؛

- تحديد لغة الحوار الاصطلاحية للتحديد الدقيق للمصطلحات المستعملة[10].

**6-2-الضوابط الموضوعية:**

- ضوابط الاستدلال الصائنة له من التناقض والاضطراب، ارتباطا للمستدل بمذهبه، ومراعاة لمذهب خصمه، ومنعا لقلب القلب، وعدم خروج عن الموضوع التزاما بالأرضية المتفق عليه؛

---

[9] محمد ربيع، المرجع السابق، ص 279 و 282-283.

[10] محمد رفيع، المرجع السابق، ص 47-51.

– ضوابط السؤال والجواب، إثباتا لمذهب المجادَل مساءلة لموقفه مع المطالبة بالدليل، وبحثا عن ماهية مذهبه مساءلة عن الحكم ومناطه، وبحثا عن دليله ووجه دلالته إن غمضت من المجادِل ليتخذه مدخلا للاستدلال، وبيان دليله؛

– ضوابط القدح في الدليل بقوادح المطالبة والاعتراض والمعارضة، وهذه المرحلة ذات أهمية كبرى باعتبارها مرحلة فكرية يتطور فيها النقاش الجدلي، ويتفاعل تركيزا للبحث على "عملية التصحيح والتحرير" اختبارا للدليل قصد إنتاج المعرفة الصحيحة[11].

**سابعا– تطبيقات المنهج الجدلي على المجتمع والتاريخ:**

بداية، وجب الاشارة إلى بيان مواضع استعمال الجدل في القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، ويظهر ذلك بوضوح في الكثير من النصوص، والأمثلة في ذلك لا على الحصر "جدل نبينا موسى عليه السلام مع فرعون"؛ وحتى نستشف علاقة المنهج الجدلي بالعلوم الانسانية والاجتماعية، فعلينا أن نعي ما يراد من المنهج الجدلي الذي تعتمده المدرسة الماركسيّة، فهي من جهة تحاول تقديم تفسير للطبيعة، والمجتمع والتاريخ من جهة أخرى، فالطبيعة وفق هذا المنطق الجدلي، هي في حركة مستمرّة على أساس صراع الأضداد (المادية الديالكتيكيّة). وعلى مستوى المجتمع والتاريخ، فالمجتمع البشريّ يتصوّر وفق مراحل تاريخيّة تحدّدها الماديّة التاريخيّة، وهذا التصوّر يستند إلى مبدأ صراع الطبقات والتناقض بين وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج (الماديّة التاريخيّة) كل مظاهر هذا الصّراع وذاك، تستند إلى ثلاثية المنطق الجدلي: الأطروحة، والطباق، والتركيب.

كما يجدر الاشارة هنا إلى حضور المنهج الجدلي وامكانية تطبيقه في المواضيع المتعلقة بالجوانب العقدية والمرجعيات (تاريخ الملل والنحل)، كما يمكن تطبيقه في علم الكلام والفلسفة، ومن النماذج التي تضرب في هذا الباب المناظرات التي وقعت خلال فترة تقوي التيار الغزالي الصوفي، بين فقهاء المرابطين، والمتأثرين بفكر الغزالي، فمثل هاته الدراسات يمكن تطبيق المنهج الجدلي عليها؛ والنماذج في هذا الباب كثيرة مشرقا ومغربا، في ظل المذاهب الأربعة، وترسبات الملل والنحل.

**خاتمة**

في ختام هذا العرض، نخلص إلى أن المدارس التاريخية الاسلامية قد تبلورت في بداياتها مع الزخم الذي ارتبط بالمغازي والفتوح بمدرسة المدينة التاريخية، ثم انتقل للتوسع بباقي المشرق الاسلامي عبر جملة من التأثيرات السياسية، القبلية، والمذهبية، فتشكلت رويدا مدارس برواد ونخب أسهمت في التعريف بالتاريخ الاسلامي خلال مرحلة التقطعات؛ وكان التقارب الذي جمع هاته المدارس الاسلامية هو "البعد الديني الاسلامي"، والبحث عن الوصول إلى "الحدث التاريخي" أو الحقيقة المعرفية عبر تطبيق منهج السند والثبت، والذي لاحظنا تخل عنه بعض الاحيان عند نخب معينة، وسينتقل فكر التدوين التاريخي إلى الغرب الاسلامي لينبثق عنه كم هائل من النخب

[11] المرجع نفسه، ص 56-57 و ص 63-74.

والمصنفات؛ وارتبط الغرب المسيحي بالتاريخ، ومناهجه، فانبعثت من رحم الاحتكاك بالمسلمين عدة مدارس تاريخية غربية، حاولت إعطاء تفاسير مختلفة للتاريخ، وربطتها أحيانا بالفلسفة والميتافيزيقيا، وأحيانا باللاهوتيات، ومنهم من ربطها بالعقل، وكذا بالماديات، وأيضا بمصادر الحقيقة التاريخية (الوثيقة) وتنوع التعامل معها كما هو الحال مع مدرستي الوضعانية والحوليات.

ولا بد من الاشارة على أن التدرج المنهجي للبحوث قد انتهى بمجموعة من المنهج التي بإمكان الباحث استخدامها بمختلف بحوثه، والمزج بينها كذلك ضمن موضوع واحد، على ما يخدم فرضياته، ووقفنا على عدد كبير من المناهج، كالمنهج الوصفي، والاسترداد، والتوثيقي، والاحصائي الكمي، والاستدلالي، وما إلى ذلك مما ناقشنا ضمن هذا البحث، وكل هذه المناهج انطلقت من المنهج العلمي الصرف الذي يقوم على الموضوعية في الطرح، والتغير المستمر، وتشابك عناصره، وتسلسل المعطيات البحثية، وهو ما يمكن أن يتقاطع مع المنهج التاريخي بفعل الاختصاص.